ولما اقيمت الدلايل على ان هذا القران من عند الله وجب ان يقال انه ليس في الدنيا اجهل
ولا اظلم على نفسه من منكري ذلك كما قال تعالى فمن اي لا احد اظلم ممن افترى
اي تعمد على الله كذبا اي اي كذب كان من شريك او ولدا وغير ذلك وكان الاصل مبني
على تقدير ان لا يكون هذا القران من عند الله ولكنه وضع هذا الظاهر مكانه
تعميما وتعليقا للحكم بالوصف او كذب باياته اي دلايل توحيده فكفر بها كما
فعلتم انتم وذلك من اعظم الكذب وقوله تعالى انه اي الشان لا يفلح بوجه
من الوجوه المجرمون اي المشركون تاكيد لما سبق من هذين الوصفين
ويعبدون اي هولا المشركون من دون الله اي غيره ما لا يضرهم اي ان لم
يعبدوه ولا ينفعهم اي ان عبدوه وهو الاصنام لانها حجارة وجماد لا
تضر ولا تنفع والكفار قادرون على التصرف فيها تارة بالاصلاح وتارة بالافساد
واذا كان العابد اصلح حالا من المعبود كانت العبادة باطلة لان العبادة اعظم
انواع التعظيم فلا تليق الا بمن يضر وينفع بان يثيب على الطاعة ويعاقب على المعصية
وكان اهل الطايف يعبدون اللات واهل مكة يعبدون العزي ومناة وهبل
واسافا ونايلة ويقولون هولا اي الاصنام التي نعبدها شفعاونا عند الله
ونظيره قوله تعالى اخبارا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقيل
انهم وضعوا هذه الاصنام والاوثان على صور انبيايهم واكابرهم وزعموا انهم متى
اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فان هولا الاكابر يكونون شفعا لهم عند الله وقال
الرازي ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الاكابر على اعتقاد
انهم اذا عظموا قبورهم فانهم يكونوا شفعا لهم عند الله انتهى ولكن تعظيمهم هولاء
ليس كتعظيم الكفار وفي هذه الشفاعة قولان احدهما انهم يزعمون انها تشفع
لهم فيما يهمهم من امور الدنيا في اصلاح معايشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا
يعتقدون بعث الموت والثاني انهم يزعمون انها تشفع لهم في الاخرة ان يكون
بعث قاله ابن جريج عن ابن عباس وكلهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم
حيث عبادة موجدهم الضار النافع الى عبادة ما لم يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع
على توهم انه ربما يشفع لهم قاله النضر بن الحارث اذا كان يوم القيمة شفعت
اللات والعزي وقوله تعالى قل يا محمد لهولا المشركين اتنبئون الله اي اتخبرون
الله وهو العالم بكل شي المحيط بكل محيط بما لا يعلم اي بما لا يوجد له به
علم في وقت من الاوقات استفهام انكار تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو
شفاعة الاصنام واعلامه بان الذي انباوا به باطل غير منطو تحت الصحة
فكانهم يخبرونه بشي لا يتعلق به علمه وقوله تعالى في السموات ولا في الارض تاكيد
لنفيه لان ما لم يوجد فيهما منتف معدوم وهذا على طريق الالزام والمقصود
نفي علم الله بذلك التشفيع وانه لا وجود له البتة لانه لو كان موجودا لكان
معلوما لله تعالى وحيث لم يكن معلوما لله تعالى وجب ان لا يكون معلوما موجود

وهذا

وهذا مثل مشهور في العرب فاذا الانسان اذا اراد نفي شي عن نفسه يقول ما علم الله
مني ذلك ومقصوده انه ما حصل ذلك الشي منه قط ولا وقع سبحانه اي تنزيها
له عن كل شايبة نقص وتعالى عما يشركون ما مصدرية او موصولة اي عن اشرا
او عن الشركا الذين يشركونهم به وقرا حمزة والكساي بالتاء على الخطاب لقوله
اتنبئون الله والباقون بالياء على الغيبة فكانه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم قل
انت سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الله سبحانه وتعالى هو الذي نزه
نفسه عما قالوه فقال سبحانه وتعالى عما يشركون ولما اقام الله تعالى الدلالة
القاهرة على فساد القول بعبادة الاصنام بين السبب في كيفية حدوث هذا
المذهب الفاسد بقوله وما كان الناس الا امة واحدة اي جميعا على الدين
الحق وهو دين الاسلام وقيل على الضلال في فترة الرسل واختلف القايلون
بالاول انهم متى كانوا كذلك فقال ابن عباس ومجاهد كانوا على دين الاسلام من لدن ادم
الى ان قتل قابيل هابيل وقال قوم الى زمن نوح فبعث الله تعالى اليهم نوحا وقال
اخرون كانوا على دين الاسلام من زمن نوح بعد الغرق حيث لم يذر الله على الارض
من الكافرين ديارا الى ان ظهر الكفر فيهم وقال اخرون من عهد ابراهيم عليه
السلام الى زمن عمرو بن لحي وهذا القايل قال المراد من الناس في قوله تعالى
وما كان الناس الا امة واحدة العرب خاصة فاختلفوا بان ثبت بعض وكفر
بعض ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تاخير الحكم الى يوم القيامة وقيل تلك
الكلمة هي قوله سبحانه وتعالى سبقت رحمتي غضبي فلما كانت رحمته
غالبة اقتضت تلك الرحمة الغالبة اسبال الستر على الجاهل الضال
وامهاله الى وقت الوجدان لقضي بينهم اي الناس بنزول العذاب في الدنيا
دون يوم القيامة فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقا المحق
وكان ذلك فصلا بينهم ويقولون اي كفار مكة لولا اي هلا انزل عليه اي
محمد صلى الله عليه وسلم اية من ربه اي ما جاء به كما كان للانبيا من الناقة
والعصى واليد فقل يا محمد لهولا الكفرة المعاندين انما الغيب اي ما
غاب عن العباد امره لله اي هو المختص بعلمه ومنه الايات فلا ياتي بها الا
هو وانا على التبليغ فانتظروا اي نزول ما اقترحتموه وقيل نزول العذاب
ان لم تومنوا اني معكم من المنتظرين اي لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الايات
وكفى بالقران وحده اية باقية على وجه الدهر بديعة في الايات رفيعة المسلك
بين المعجزات مع عجزكم عن معارضته بتبديل او غيره فاي عنادا عظم من هذا واذا
اذقنا الناس اي كفار مكة رحمة اي صحة وسعة من بعد ضرا اي شدة وبلا
مستهم سلط الله تعالى القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون
ثم رحمهم فانزل عليهم المطر الكثير حتى اخصبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك
فلم يتعظوا بعد ذلك بل رجعوا الى العناد والكفر كما قال تعالى اذا لهم مكر